

في دراسة الأدب ، أن يجمع في ثقافته على الأمل بين هذه العلوم ولكنه إذا وفق إلى ذلك ثم أحسن تطبيقه في دراسته الأدبية فإنه سوف يستطيع أن يرى الأدب في صورته الحقيقية الكاملة التي تعبر عن حقيقة الأديب ، وحقيقة مشاعره ، وحقيقة ما يهدف إليه ، لأنه حينئذ ينظر إلى الأدب بالمنظار الذي يشبه المجهر أو المكبر الذي يكشف عمالا تكشفه العين المجردة ، فالمنظار المكبر لا يضيف إلى الحقيقة أو الواقع شيئاً ، ولكنه يبرز لنا ما لا تستطيع العين العادية أن تكتشفه ، وإذا وفق الباحثون في الأدب إلى أن يجعلوا للدراسة النفسية هذه الأهمية فإن النتائج التي سيكتشفونها في دراسة الأدب تهون عليهم أي جهد بذلوه ، ثم يعلمون بعد ذلك أن أي دراسة للأدب بدون الاستعانة بالجمال النفسى أشبه بمحاولة تحليل مادة عضوية بدون مجهر أو منظار مكبر .

ولم تعد أهمية الدراسة النفسية في الأدب خافية في البحوث العالمية ، فأصبح هناك شبه إجماع لدى الباحثين والنقاد في العالم على أن أقرب الحلول وأوضحها لمشاكل الأدب ومجامله هو الدراسة النفسية ، فكثير مما يعمده الباحثون والنقاد مشاكل أدبية كاختلاف المطلع عن الموضوع في القصيدة القديمة ، وتباين العناصر وتباعدها ، وكالرمزية في الأدب قديمه وحديثه لا يستقيم فهمها إلا بإخضاعها للمجال النفسى ، وهذه الحقيقة يقرها الباحثون ، كقولهم : (الواقع أن ميدان التحليل النفسى من أخصب ميادين علم النفس ، من وجهة علاقاته الأدبية ، فإن تنقيبه في أعماق النفس الخفية يقفه وجهاً لوجه أمام طائفة من المضللات التي شغلت باحثى الأدب قروناً طوالاً ، ولا تزال تشغلهم ، .. مثل ظاهرة الرمزية ...) (١٢) .

وكذلك مما يلحظ أن الشاعر مثلاً قد يسوق معاني في مطلع القصيدة أو مقدمتها تبدو لنا غريبة على السياق ، وعلى المناسبة ، وقد لا نجد لها وجهاً أو معنى مقبولاً ، بل لو سأل الشاعر نفسه فقد لا يجد لديه جواباً لتفسيرها ، كما أثير كثيراً نقد لمطالع لم يستطع أصحابها أن يفسروها على وجه يقنع الناقدين ، ومن ذلك مطلع أبى تمام (هن عوادى يوسف وصواحيبه ...) حيث عابه كثير من معاصريه ، وقيل له ذات مرة استنكاراً لهذا المطلع : لم تقول ما لا نفهم ؟ فكان كل جوابه : ولم لا يفهم ما يقال ؟ فهو لا يجد تفسيراً محمداً لمطلعه ، ولكنه يعلم أن له معنى وهدفاً كان ينبغى أن يفهمه السامعون ، وهذا الجانب الذى يمثل إيجابية أى عمل فنى ومنه الأدب في نفس منشئه بحيث لا يدرك الفنان أو الأديب أحياناً تفاصيل أهداف أو مصادر عمله وإن كان يدرك